التعدد اللغوي مظاهره وانعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري

أ- رقيعه عبد الكريم

ملخص:

إنّ ظاهرة التعدد اللغوي لا تكاد تخلوا منها أية دولة أو مجتمع، فمنها ما أثرت عليه هذه الظاهرة بالسلب وكانت معيار من معايير التخلف، ومنهم من اتخذها مطية للتعبير عن احترام الشعوب ولغاتها، وانفتاحا عن الثقافات التي تحملها هذه اللغات، فكان استغلال هذه التعددية اللغوية والاهتمام باللغات الدخيلة جزءا من حضارتها وتقدمها، وقد اتخذت هذه الظاهرة في الوسط الجزائري شكلين: أحدهما ما يطلق عليه الثنائية اللغوية والآخر يسمى بالازدواجية اللغوية، وقد كان لكل منهما حضورا واسعا في وسطنا اللغوي الجزائري، وقد خلفت هذه التعددية أثرا عظميا على العملية التواصلية داخل المجتمع الجزائري ووسطه التعليمي.

Summary:

the phenomenon of multilingualism hardly abandoned by any State or company wide has affected him. This phenomenon has caused underdevelopment; either has been taken as a claim to express the respect of peoples, languages and cultures which have incurred these languages. Exploitation of this linguistic and cultural pluralism of those linguistic pluralism is part of its civilization and its advancement. This phenomenon, in the Algerian Center, has taken two forms the first is individual plurilingualism and the second is social (diglossia\/bilingualism). The presence of both in our environment has influenced on communication in the educational environment community Algeria.

مقدمة:

عرفت الجزائر منذ القديم حراكا سياسيا واقتصاديا، أكسبها إيَّاه موقعها الجغرافي المتميز، لذلك كانت محل أطماع الغزاة من رومان وإسبان، مما أكسبها طبقات اجتماعية متنوعة إضافة إلى سكانها الأصليين (الأمازيغ)، وفي القرن السابع الميلادي، شهدت الجزائر حراكا دينيا، قدم به العرب الفاتحين حاملين معهم لغتهم العربية التي كانت وقتئذ من أهم اللغات، فعكف الجزائريون على هذا الدين يتفقهون فيه ويتعلمون لغته، فبرز علماء في الدين واللغة العربية من أصل أمازيغي يضاهئون جهابذة العرب، وانتقلت العربية إلى الوسط الجزائري بطريقة سلمية وبرغبة ملحة من الشعب الجزائري، على عكس القرن الماضي الذي كان شاهدا على الاستدمار الفرنسي 1962/1830م الذي يعد من أفضع أنواع الاستدمار الذي عرفته البشرية على مر العصور، لما خلفه من جرائم محاولا من خلالها محو معالم الشعب الجزائري، اللغوية والدينية والقومية، فقد فرض لغته على الشعب الجزائري، رغبة منه في تدمير هويته وانتماءه، واستبداله بشعب فرنسي لغة وهوية وثقافة، هذه العوامل وغيرها أثرت على المشهد اللغوي في الجزائر وخلقت ما يسمى بظاهرة التعدد اللغوي. فمنها ما كان لأسباب تعسفية ومنها ما هو لأسباب اقتصادية وعلمية.

من هنا تتجسد في أذهاننا مجموعة من التساؤلات التي لا يمكن الحياد عنها بأي شكل من الأشكال، منها: ما مفهوم التعدد اللغوي؟ وماهي الأسباب التي أدّت إلى ظهوره؟ وماهي مظاهره؟ وكيف انعكست على الواقع اللغوي في الجزائر؟

أولا)-التعدد اللغوي مفهومه وأسبابه:

1-مفهوم التعدد اللغوي:

لعل لفظ التعدد اللغوي هنا يفضي مفهومه إلى استعمال أكثر من لغة داخل دولة واحدة أو مجتمع واحد أو حتى عند الفرد الواحد، وقد عرفه جون ديبوا في كتابه -قاموس اللسانيات- بقوله: "التعدد اللغوي عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية بها"[1]؛ فنقول عن دولة أو مجتمع أو فرد أنّه متعدد اللغات إذا كانت لديه القدرة على التواصل بأكثر من لغة، وهذه الخصيصة لا تكاد تخلو منها أي دولة أو مجتمع في العصر الحاضر أو حتى في العصور السابقة، وأفضل مثال يمكن أن ندرجه في هذا المضمار ما تمثله كندا حيث تقر دستوريا باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسويسرا التي تعتبر الفرنسية والإيطالية والألمانية لغات رسمية بها، فالتعدد اللغوي حتمية لابد من وجودها داخل المجتمع والدولة سواء أكانت هذه الدولة من مصاف الدول المتحضرة أو حتى الدولة غير المتحضرة، ولكن هذا الحضور للتعددية اللغوية إما أن يكون وجوده رسميا معترفا به من قبل الدولة وإما أن يكون تعددا اجتماعيا عرفيا غير معترفا به دستوريا.

من هنا فالتعدد اللغوي يصنف إلى نوعين: النوع الأول هو التعدد اللغوي الاجتماعي، والنوع الثاني هو التعدد اللغوي الرسمي أو الدستوري (المعترف به دستوريا):

أ-التعدد اللغوي الاجتماعي:

وهذا التعدد نجده متفشي في مختلف طبقات المجتمع دون ما إقرار من جانب الحكومة، ويكتسبه المجتمع نتيجة احتكاكه مع شعوب أخرى مختلفة عنه في اللغة، أو نتيجة الهجرات، أو الاستعمار أو غيرها من العوامل الأخرى، وهذا التعدد طبيعي لا تحكمه قوانين ولا أطر تنظمه من قبل الحكومة إنما فرضته قوى خارجية متنوعة كالهجرة، والاستعمار، ...إلخ .

ب-التعدد اللغوي الرسمي:

وهو ذلك التعدد الذي تقره الدولة رسميا في دستورها كما أشرنا سابقا إلى كندا وسويسرا حيث تقر بالتعدد اللغوي في تعاملاتها الإدارية ووثائقها الرسمية.

لكن عند النظر إلى الواقع اللغوي في الجزائر، تتراء لنا التعددية اللغوية بصفة جلية، سواء على مستوى المجتمع أو المستوى الرسمي دون أي إقرار دستوري،

فالجزائر تعلم في مدارسها اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، وفي بعض المناطق الأمازيغية والألمانية والإسبانية وغيرها...لكن لا نرى أي مادة في الدستور تنص على قضية التعددية اللغوية.

2-أسباب التعدد اللغوي:

لم يتواجد التعدد اللغوي في الدول والمجتمعات صدفة وإنَّما هناك مجموعة من الأسباب أدَّت إلى ظهوره، وعملت على استقراره، وهذه الأسباب لا تكاد تختلف من دولة إلى أخرى وخاصة عالمنا العربي الذي مرَّ بنفس الظروف تقريبا، وقد تعددت هذه الأسباب ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ-الغزو العسكري والاحتلال:

إن من أسباب تواجد ظاهرة التعدد اللغوي في العالم العربي عامة والجزائر خاصة، ما تعرضت له البلدان العربية من احتلال عسكري في القرن الماضي، وكما هو معلوم فإنَّ الجزائر قد تعرضت للاحتلال الفرنسي (من1830إلى1962)، خلال هذه الفترة عملت فرنسا على محو اللغة الرسمية للبلاد (اللغة العربية)، جاهدة في فرض لغتها الفرنسية على الشعب الجزائري، طامحة في تحقيق أهدافها التي رسمتها ومن أهمها فرنسة الشعب الجزائري، والمدة غير القصيرة التي قضتها فرنسا في الجزائر جعلت الجزائريين يتعاملون مع هذا المحتل، يتعلمون في مدارسه ويعملون لديه "نتج عن هذه المعاملات احتكاك لغوي أدَّى إلى ظهور ثنائية لغوية"[2]

ب-الهجرة الجماعية:

أغلب بلدان العلم معرضة للهجرة من قبل سكانها، كل له ظروف دفعته لهذه الهجرة، منهم من رحل بحثا عن ظروف اقتصادية أفضل وعمل أحسن وخاصة بلدان العالم الثالث التي عانت الويلات من الدول المستعمرة، مثل ما حدث مع الجزائر بعد الاستقلال وأثناء الاحتلال، حيث الظروف القاسية من جوع وفقر وأمراض دفعت الكثير من فئات الشعب الجزائري للهجرة نحو الدول الأوروبية المتحضرة والمتطورة اقتصاديا وتكنولوجيا وعلميا، وقد يهاجر أبناء الشعب نتيجة لمهنة التجارة التي تفرض عليهم التعامل مع الدول الأخرى، كل ما قلناه يؤدي إلى الهجرة الجماعية للشعوب وهذه الهجرة تخلق وسطا يحتك فيه النازحون مع أبناء الشعوب الأصلية "وهذا بدوره يؤدي إلى احتكاك لغوي _ينتج عنه فيما ينتج_ ظاهرة الثنائية اللغوية أو(التعدد اللغوي)"[3]

ج-تربوية وتعليمية:

من أبرز العوامل والأسباب المسؤولة عن تفشي ظاهرة التعدد اللغوي الأسباب التربوية والتعليمية، فلو عدنا مثلا إلى التعليم في المدارس الجزائري وجدنا الكثير من المواد العلمية تستعمل مصطلحات أجنبية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم، بالإضافة إلى المعاهد العلمية والتقنية في الجامعات الجزائرية[4]، ولا يخص

هذا الوضع الجزائر فقط بل الكثير من البلدان العربية تدرس التخصصات العلمية بلغاتها الأصلية لافتقادها التعريب، وهذا الوضع يخلق لدى المتعلمين خطاب عربي مشوب بمصطلحات أجنبية ولهجية.

د-ذاتية نفسية:

الكثير من أفراد المجتمع يميلون إلى النزوح لاستعمال اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية، في تواصلهم اليومي أو يراوحون بين اللغة العربية والفرنسية، لفقدانهم الثقة باللغة الأم لأنَّها لغة كلاسيكية لا يضم حقلها إلَّا التخلف والجهل في نظرهم لكن تختلف نظرتهم إلى لغات الغرب المتحضر فعند استعمالهم لهذه اللغات "فإنَّهم يشعرون بالاعتزاز عند استخدام اللغات الأجنبية، لأنَّها لغة الغرب القوي والمتحضر والمتفوق"[5]، ولا يمكن الاستهانة بهذا السبب لأنَّه من أهم الأسباب في واقعنا اللغوي الجزائري، لأنَّ فقدان الثقة بالذات والرغبة في تقليد الغرب في كل شيء حتى في لغته أصبح محل التنافس خاصة على مستوى فئة الشباب.

لقد ذكرنا بعض الأسباب التي أدَّت بصفة مباشرة أو غير مباشرة لبروز ظاهرة التعدد اللغوي في الجزائر، بالإضافة إلى هذه الأسباب هناك أسباب دينية، فاللغة كما هو معلوم حاوية للدين، فإذا اعتنق أي إنسان ديانة ما فإنه سيتعلم هذا الدين بلغته التي نزل بها ومن ثم سيتعلم لغته، كذلك الحس القومي بالنسبة للأقليات التي انحلت في شعوب أخرى، فإنَّ هذا الحس القومي سيضل يذكي هذه الأقليات دافعهم لتعلم لغة أجدادهم كالأمازيغية في الجزائر والمغرب.

ثانيا)-مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر:

إذا أمعنا النظر في الواقع اللغوي الجزائري وفي قضية التعدد اللغوي، اتضح لنا مظهران أو شكلان اتخذهما هذا التعدد: الأول ما يسمى بالازدواج اللغوي، والثاني يسمى بالثنائية اللغوية، وقد وقع هذان المصطلحان في إشكالية اللبس والغموض، فالباحث في كتب العلماء ومقالاتهم في هذا المضمار سيتجلى له هذا الاختلاف، ويرجع العالم اللغوي الفرنسي أندريه مارتينيه هذه الضبابية في المصطلحين لأنَّ هذه الظواهر غير واضحة المعالم عند علماء اللغة أنفسهم، لأنَّها ظواهر لا تهم اللغويين وحدهم، بل يهتم بها كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم[6]، ونحن هنا في غنى عن التأصيل للمصطلحين، وفي توضيحنا لهذا الخلاف نخرج عن دائرة تَخَطِّأت من اتخذ غير ما اتجهنا إليه ولا يخطئنا غيرنا في استعمالنا للمصطلحين، ونحن في اتجاهنا نتبع خطى الدكتور عبد الرحمن حاج صالح بالنسبة لتحديده لهاتين المصطلحين وتوصيف الوضع اللغوي في الجزائر فيرى أنَّ الثنائية اللغوية هي العلاقة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، أمَّا الازدواجية اللغوية فهي العلاقة بين اللغة العربية ولهجاتها[7].

وسنعرض فيما يأتي مفهوما المصطلحين ومدى حضورهما في الواقع اللغوي الجزائري:

1-الازدواج اللغوي:

يتمحور مصطلح الازدواجية اللغوية في مفهومه العام حول الواقع اللغوي للدولة أو المجتمع أو الفرد الذي يستعمل لغة رئيسية مع تفرعاتها اللهجية، ولم يظهر مصطلح الازدواج اللغوي (diglossie) إلّا في سنة 1959م، حيث أشار إليه اللساني الأمريكي شارل فيرغسون (charles ferguson) في بحث نشره بمجلة "اللغة" الأمريكية حيث يقول: "الازدواجية اللغوية وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة) لغة تختلف عنها وهي مقننة بشكل متقن (إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات)، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية"[8]، من هنا نلحظ أنّ الازدواج اللغوي هو ذلك التنوعات المختلفة أو استعمالات للغة في الحياة اليومية المنبثقة عن اللغة الفصيحة المستعملة في الأدبيات الرسمية أو في تعاملات الدولة، فمن الطبيعي أن تكون لكل لغة في هذا العالم مستويان أو أكثر في أي مكان أو زمان تواجدت فيه، وقد عبر محمد الشيباني عن مفهوم هذا المصطلح بعبارة مختصرة واضحة الملامح فيقول في خضم كلامه عن الازدواجية اللغوية: "يقصد بها _أي الازدواجية_ تواجد نظامين أو نوعين لغويين مختلفين في مجتمع ما تجمع بينهما أواصر قرابة أو علاقة نسب"[9]، فالناظر إلى الواقع اللغوي الجزائري تتراء أمام ناظريه هذه الظاهرة، فبالإضافة إلى لغتنا العربية الفصحى الرسمية والمستعملة في التعليم والإدارة، نجد كذلك لهجاتنا الموزعة من السواحل الجزائرية شرقا وغربا إلى هضابها وسطا ثم إلى أعماق صحراءها جنوبا عبر 48 ولاية ولا نبالغ إذا قلنا أنّ لكل ولاية لهجة خاصة بها، ومن هنا فاللغة العربية مع لهجاتها العامية تمثل ظاهرة الازدواجية اللغوية في الجزائر.

2-الثنائية اللغوية:

أمّا المظهر الثاني للتعدد اللغوي يندرج تحت مسمى الثنائية اللغوية، وهذا المصطلح لم يسلم من الغموض والتناقضات التي وقع فيها العلماء، فمنهم من يطلق عليها الازدواجية، ويطلق على الازدواجية الثنائية، ونحن اتبعنا كما قلنا رأي الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، وعرفنا الازدواجية كما اقترح هو مفهومها،

وكذلك الثنائية سنضع مفهومها على منوال رؤاه، ولكن الإشارة إلى الاختلاف لابد منه.

فقد عرفها محمد الشيباني بقوله: "هي وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين لغويين مختلفين"[10]؛ فمن خلال تعريف الشيباني يتضح لنا أن الثنائية تطلق على الدولة أو المجتمع أو الفرد الذي لديه القدرة على التواصل بنظامين لغويين ليست بينهما صلة قرابة، وقد عرفها محمد الخولي بدقة أكثر حينما قال: "الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإتقان، ولأي مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"[11]؛ فلغة أي دولة تكون ثنائية مع أي لغة أو لغات أخرى تختلف عنها نظاما وأصوتا وإفرادا وتركيبا، ففي الواقع اللغوي الجزائري نجده متمثلا في اللغة العربية التي تكون ثنائية مع الفرنسية والأمازيغية والإنجليزية والإسبانية...وغيرهم.

من هنا فالتعدد اللغوي في الجزائر يظهر من خلال قضيتين، القضية الأولى ما تشكله اللغة العربية مع لهجاتها ويطلق عليه علماء اللغة مصطلح الازدواجية اللغوية، والقضية الثانية هي ما تمثله اللغة العربية مع اللغات التي تعايشت معها لسبب من الأسباب، كاللغة الأمازيغية التي تآخت مع اللغة العربية منذ الفتح الإسلامي إلى زمننا الحاضر، واللغة الفرنسية التي فرضت على اللغة العربية منذ احتلال فرنسا للجزائر، فشكلت معها ثنائية في الواقع اللغوي المعاش، واللغة الإنجليزية التي فرضها التطور الاقتصادي والتكنولوجي على الدولة والشعب حتى أنَّ الجزائريين أصبحوا يرون أنَّ تعلمها ضرورة ملحة لمواكبة عصر الحداثة والتقنية، وليست الجزائر وحدها معنية بهاتين الظاهرتين بل لا يكاد يخلو منها بلد في العالم.

ثالثا)-انعكاسات التعدد اللغوي في الواقع الجزائري:

لابد من الوقوف بتمعن أمام هذه الظاهرة اللغوية ألا وهي ظاهرة التعدد اللغوي، ونحكم عليها من خلال ما نراه في المجتمع الجزائري، لأنَّ التعدد اللغوي في البلدان المتحضرة يعتبر جزء من الحضارة، ومبدأ عظيم لقبول الآخر واحترام لغته، أمَّا في الجزائر فالأمر عكس ذلك فقد خلف آثار سلبية، وعجزا عن التواصل بين مختلف مناطق الوطن الواحد، ولعل أبرز هذه المخلفات تتجلى في:

1-الصراع اللغوي:

لقد خلف التعدد اللغوي في الوسط الجزائري صراعا قويا وحادا بين اللغة العربية الرسمية واللغة الفرنسية من جهة، وبين اللغة العربية واللهجات العامية من جهة أخرى، ففي العصر الحاضر "نجد أنَّ اللغة العربية تواجه صراعا لغويا في الأقطار العربية مع عدَّة لغات أجنبية؛ كما يحصل لها في المغرب العربي مع اللغة الفرنسية، وفي دول الخليج العربي مع اللغة الإنجليزية، أمَّا الحالة الثانية فيمكن

تعميمها وبدون استثناء على جميع الدول العربية التي يحدث فيها صراعا لغويا بين العامية والفصحى"[12]، وهذا الصراع المرير الذي تعانيه اللغة العربية مع الفرنسية من جهة ومع اللهجات العامية من جهة أخرى، وبعد انجلاء الغبار تراءت لنا هزيمة اللغة العربية البينة، فإذا ما لاحظنا الخطاب الاجتماعي سنجد العربية الفصحى غائبة عن الوجود وأصبح الاهتمام بها ضعيفا، لا يرقى إلى اعتبارها لغة رسمية تعبر عن وحدة هذه الأمة واعتزازها بعروبتها في حين نرى أنّ العظمة التي كان العرب القدماء يحفون بها اللغة العربية، قد انتقلت في عصرنا الحديث إلى اللغات الأجنبية "فقد ضعف الاعتزاز باللغة العربية وأصبحوا يميلون للغات الأجنبية كلغة حضارة، وتلاشت الهوية لأنّ العربية بالنسبة لنا لغة موحدة للأمّة العربية ولغة الدين والشخصية العربية بما تحمله من قيم روحية واجتماعية"[13].

فالصراع اللغوي في واقعنا الجزائري سحب اللغة العربية إلى القاع، مكونا خليطا غير متجانس من العاميات، وهجين اللغات الأجنبية جاعلا منها لغة للتواصل اليومي، وحتى في الخطاب التربوي والأكاديمي داخل المدارس والجامعات.

2-التداخل اللغوي:

لقد خلق التعدد اللغوي في الجزائر وفي غيره من بلدن العالم العربي تداخلا لغويا، وقد سرى هذا التداخل إلى جميع المستويات التحليلية للغة العربية؛ صوتيا وإفراديا ونحويا ودلاليا ومعجميا.

أ-المستوى الصوتي:

فعندما نلقي نظرة على الخطاب التواصلي في الجزائر، نجد كثيرا من الأصوات موجودة في الكلمة التي تبدو عربية ولكن لا تنتمي إلى اللغة العربية مثل حرف "ڤ" الذي يكون في أغلب الأحيان بديلا لحرف "ق" فنقول: ڤال بدلا من قال، وحرف "ڤ" ليس من حروف اللغة العربية وإنما هو دخيل أدمج في الكلام العربي، وتنطق في بعض المناطق في الجزائر وغيرها من البلدان العربية "أ" فيقال: "آل" بدل "قال".

وهناك الكثير من الإبدالات الصوتية التي نشاهدها في واقعنا اللغوي التي أصبح ينشز منها السماع إذا ما أصغينا لها بأذن الفصيح مثل: إبدال "الغين" بالقاف" كأن ينطق غزال قزال في بعض المناطق و"التاء" طادا" مثل تمر ينطق طمر"، وليس هذا الحرف فقط بل هناك الكثير من الأصوات التي أدخلت في اللغة العربية عنوة وأزاحت بعض الحروف الفصيحة لتحل محلها، سوى على مستوى التواصل الاجتماعي أو التربوي، وهذه التنوعات الصوتية التي تتراء لنا في المشهد اللغوي الجزائري تحتاج إلى إسالة الكثير من الحبر، ولكن ضيق المقام يجعلنا نختصر ذلك.

ب-المستوى المعجمي:

أمّا على المستوى المعجمي فقد دخلت الكثير من الألفاظ إلى الوسط اللغوي الجزائري منها ما هو عامي ومنها ما هو أجنبي مثل كلمات من ناحية: تراموای، فيسبوك، كويزينة، الموندیال، صالة، كونترول، كور، تيدي، سونطراك، أرشيف، بالو، ميكرو، تيليفون، أبيز، بيتزيريا[14]....وغيرها من الألفاظ التي لها حضور داخل المجتمع الجزائري في حين ليست لها أي مرجعية في اللغة العربية.

ج-المستوى الإفرادي:

أمّا على المستوى الإفرادي، فقد ظهرت الكثير من الألفاظ الأجنبية التي تجمع على صيغ اللغة العربية، مثل جمع كلمات نحو: تيليفونات، ميكروات، أبيزات، فقد جمعت جمع تكسير، واتخذت مجرى الألفاظ العربية دون احترام للقاعدة.

د-المستوى التركيبي:

وتركيبيا فقد ظهرت أنماط جديدة في اللغة العربية نحو: ممنوع التدخين، فهذه الصيغة بالتحديد أصبحت تلاحقنا في كل مكان مع الخطأ الشنيع الذي تحمله، فنراهم قدموا الخبر على المبتدأ في حالة وجوب تقديم المبتدأ على الخبر، فيكون الصحيح التدخين ممنوع، فأخذنا النمط الفرنسي للجملة مع استعمال حروف عربية. وكذلك عبارة "نفس الشيء" التي نراها حتى في أعمال الكتاب والصحفيين والتي لا شك أنّها لا تتماشى مع قواعد اللغة العربي والتي وجب أن تكون "الشيء نفسه" لأنّ نفس هنا جاءت للتوكيد ولا بد أن تكون بعد المؤكد، وهذه الصياغة قادمة من اللغة الفرنسية (meme chose) .

ه-المستوى الدلالي:

ودلاليا فقد خلق هذا التعدد الكثير من اللبس الدلالي، حتى أصبح في الجزائر عسر كبير في التواصل من مكان إلى آخر " فإذا غادر أمي من أسرة ريفية قريته ليستقر بإحدى القرى في الجنوب مثلا: سيكون من الناحية اللسانية بمثابة المهاجر عن وطنه إذ سيحتاج لفك العزلة اللسانية عن نفسه إلى بذل جهد ثقافي للتمكن من التواصل في الوسط اللغوي الجديد"[15]، وخلق هذا اللبس الدلالي الكثير من سوء الفهم في العملية التواصلية سواء على مستوى المجتمع أو على مستوى العملية التعليمية فتجد مثلا: المدرس يستخدم لغة منطقة غير التي نشأ فيها الطفل "فعدم التزام كثير من الأساتذة باللغة الفصحى داخل القسم، فيستخدم بعض الألفاظ من لغة أجنبية أو لهجة محلية، مما قد يسبب ظلما لبعض الطلبة والتلاميذ الذين لا يفهمونها لبسا وغموضا ويؤدي لكثير من الخلافات نتيجة سوء الفهم"[16].

من خلال هذه الدراسة الموجزة لواقع الجزائر اللغوي نجد تفشي ظاهرة التعدد اللغوي بشكل كبير، وقد أثرت هذه الظاهرة بشكل سلبي على التواصل الاجتماعي مما أدت إلى تعثر التواصل في بعض المواقفوعند تغيير الأوساط التي نشأنا فيها.

د-التشتت اللغوي في الواقع الجزائري:

فالتعدد اللغوي أصبح يحدث ارتباكا على مستوى التعبير عوضا أن يكون عامل إثراء وسلامة، والنتيجة أن أصبحت الغالبية الساحقة من الجزائريين بمن فيهم المتعلمين لا يتحكمون في أية لغة من اللغات، فالمعرَّب لا يتقن العربية بالشكل المطلوب، والموصوف بالمفرنس لا يجيد الفرنسية على وجهها الصحيح، والنتيجة أن اختلطت هاتان اللغتان باللهجة العامية وبقية اللهجات الأمازيغية، وعليه فالمحصلة النهائية أن لا لغة للجزائريين، لغات متعدد في خطاب واحد وسوء فهم ظاهر للعيان في جميع أقطار الجزائر[17].

ه-أثرها على الوسط التربوي:

لا شك أنَّ هذا التعدد اللغوي الذي أفضى إلى خطاب تواصل غير متجانس مكون من اللغة العربية بالإضافة إلى مجموعة من اللغات الأجنبية الفرنسية والأمازيغية وبعض الألفاظ الإسبانية والإيطالية هذا من جهة ومن جهة أخرى العامية المنفصلة عن اللغة العربية، لم يقف عند الوسط الاجتماعي فحسب بل تجاوزه ليصل إلى مدارسنا وجامعاتنا حتى أنَّ اللغة العربية الفصحى أصبحت غائبة عن الوجود في المدارس وحتى عند أصحاب الاختصاص، وفي معاهد تخصصها داخل الجامعات، وقد بين الدكتور عبده الراجحي الحالة التي آل إليها أبنائنا مع لغتهم الأم حيث قال: "إنَّ تعليم اللغة العربية ليس في وضع ملائم وحالته حرجة جدا بدليل أنَّ المتخرج من الجامعة لا يحسن التكلم بالعربية، ولا يمكنه كتابة صفحة بالعربية الفصحى السليمة، ثم تغلغل هذا الإلف وصار أمرا طبيعيا لا تدرك أخطاره لينسحب تدريجيا على النظرة الاجتماعية حيث صار الطلاب يعزفون عن الالتحاق بأقسام اللغة العربية ولا يدخلونها إلاَّ مضطرين"[18]؛ نعم فالراجحي لم يبلغ من قوله شططا وإنما صور حالة العربية الفصحى تصويرا دقيقا، حيث اللغة العربية أصبحت ذلك العبء القديم الغير مرغوب به في عالم طغت عليه التبعية العربية، فمن حماقات الحداثة أن يتكلم أحدهم بكلمة فصيحة، وطوبى لمن تقعر بألفاظ لغة أجنبة ولا ضير إن كانت مهشمة العظام.

إن كان هذا حال أبنائنا من المتعلمين فأساتذتهم ليس بأفضل حال وإنَّما سوء النشء من سوء المُنْشِئ ففي أغلب الأحيان نجد الكثير من الأساتذة لا يلتزمون باللغة العربية الفصحى داخل القسم، حيث يستخدم بعض الألفاظ من لغة أجنبية

أو لهجة منطقية بدعوى تيسير الفهم على المتعلمين ولم يدر أنّه يقوض أركان العربية بمعاوله.

وتسببت هذه الظاهرة في القضاء تدريجيا على اللغة العربية سواء في الموقف التواصلي الاجتماعي أو في الوسط التعليمي، مما أدّى إلى تنوع الخطابات التعليمية من منطقة إلى أخرى، أدّى إلى صعوبة تواصل الأساتذة الذين يدرسون في غير مناطقهم الأصلية.

خاتمة:

مما قدمنا اتضح لنا:

أن التعدد اللغوي قضية حتمية الوجود فلا تكاد تخلو منها دولة أو مجتمع، أمّا الدول المتحضرة فقد اتخذتها مطية للحضارة والانفتاح عن الآخر محترمة للغته محتضنة لها، أمّا الدول المتخلفة فقد زادت هذه التعددية اللغوية من تخلفها، فبدلا من احتضان جميع اللغات، عجزت حتى في المحافظة على لغاتها الرسمية في الخطابات اليومية، والناظر إلى واقعنا اللغوي في الجزائر تظهر له التعددية اللغوية بصفة جلية نتيجة لمجموعة من المسببات منها: الغزو والاحتلال الذي عرفته على مر الأزمان، والتطور التكنولوجي والاقتصادي الذي فرضه الواقع المعاش، وتنصل الجزائري من لغته وثقافته وانحيازه إلى الغرب متأثرا بثقافته ومستعملا لغته.

أنّ المواطن الجزائري وخلال عملية التواصل يستعمل مجموعة من اللغات واللهجات، وحتى أثناء عملية التعليم تشترك اللغة العربية مع الدارجة الجزائرية من جهة ومع لغة المستعمر من جهة أخرى، الذي بدوره يقلل من الاستعمال الفصيح النقي للغة الإعراب.

أنّ التعددية اللغوية في الجزائر اتخذت مظهرين؛ الأول ما يسمى بالثنائية اللغوية وهو ما تكونه اللغة العربية الفصحى مع اللغات الأجنبية الأخرى كالفرنسية والأمازيغية والإنجليزية، والآخر عرف بمصطلح الازدواجية اللغوية وهو ما تمثله اللغة الرسمية العالية مع لهجاتها العامية الملحونة، وقد خلف هذين المظهرين آثارا سلبية، سواء من ناحية تعثر عملية التواصل بصفة عامة بين أفراد الشعب وخاصة بين شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها، وتعثره بصفة خاصة أثناء العملية التعليمية؛ في حالة إذا ما درّس الأستاذ خارج بيئته التي تربى فيها، أو في حالة انتقال التلميذ للدراسة في منطقة غير منطقته في سن الصغر خاصة، وقد خلقت هذه التعددية قاموس لغوي هجين من لغات رسمية متعددة إضافة إلى اللغة العربية، ولهجات عامية منتشرة عبر مناطق الوطن المختلفة.

وهذه التعددية أصبحت ظاهرة للجميع سواء عند الباحثين أو السياسيين أو حتى عند أفراد المجتمع عامة، ومخلفاتها أصبحت تحدث قلقا في الوسط التواصلي، لذا على المسؤولين في هذا المجال تصيير هذه الظاهرة من السلب إلى الإيجاب

والسير على طريقة الدول المتقدمة، ولعل النموذج الكندي خير دليل لاستغلال هذه الظاهرة وجعلها معبرة عن التحضر والحداثة والانفتاح عن الآخر.

في ظل هذه التعددية وجب على المسؤولين المحافظة على اللغة الأم للدولة، سواء في العملية التعليمية والتربوية، من أجل إنتاج جيل يعتز بلغته وعروبته، أو الخطابات السياسية والصحفية المكتوبة والمنطوقة للتقليل من هذا التلوث اللساني الذي أصبح يلاحقنا في كل شؤون الحياة.

الهوامش:

1-مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد(30) 2014م، ص.103

2- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايدة محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة 1422هـ، (مارس 2002م)، ص.78

3- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايدة محمود، ص.77

4- مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص.113

5- مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص .112

6-العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية؛ إبراهيم كايد محمود، ص.56

7- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية؛ إبراهيم كايد محمود، ص .56

8- واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، أ- عبد الحميد بوترعة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد08/ سبتمبر2014م، ص.214

9- مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص.107

10- التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، عبد العزيز بالفقير، (صحيفة الحوار اليوم)، الثلاثاء 2013/07/16.

11- التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، عبد العزيز بالفقير، (صحيفة الحوار اليوم)، الثلاثاء 2013./07/16

12- الصراع اللغوي، إبراهيم بن علي الدبيان، (بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث- التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي)، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية –كلية دار العلوم- جامعة القاهرة-16-1427/01/17هـ، ص.05

13- مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص.117

14- ينظر: واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، أ- عبد الحميد بوترعة، ص205-206-207-208.

15- ينظر: المرجع نفسه، ص .202

16- ينظر: مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص.118

17- ينظر: المرجع نفسه، ص.116

18-علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 1995، ص88.